الاختلاط في الأرياف *

كأني أسمع بعض قراء البلاغ الأسبوعي ، وقد قرأوا صفحة السيدات ، ورأوا ما أعتقده في الاختلاط من خطر خلقي يهمسون: وما بالنا لا نجد هذا الفساد متفشياً في الأرياف عندنا في مصر ، والسفور تام والاختلاط غير ممنوع ؟

فالذين يرددون هذا الاعتراض ينسون الفارق بين حياة القرى وحياة المدن ويهملون ما في الأولى من حصانة طبيعية بحسب الوسط والمجتمع الذي تحتويه ، وما في الثانية من فوضى وخلط ومؤثرات تعدو على تلك الحصانة ، وتمهد الطريق للفساد ، وبحسب البيئة والمجتمع الذي تحتويه كذلك .

وترجع الفروق بين الحياتين من هذه الوجهة إلى ثلاث نواح: ناحية الفرد ، وناحية المجتمع ، وناحية طبيعة القرية والمدينة . وإلى هذه الفروق يعود السبب في عدم تفشي الفساد في الأرياف . فأما ناحية الأفراد فهى أن في الريفي صفات لا توجد في المدني وهي أساس المحافظة في القرى .

من هذه الصفات البدوية الساذجة البعيدة عن الدهاء والخديعة والإيقاع . والمروءة التي تحول دون ذلك أيضاً ، والحياء الذي لم تشوهه المدينة ، وهو

---

* مجلة البلاغ الأسبوعي - العدد ١١٢ - الأربعاء ٨ مايو سنة ١٩٢٩م .

العامل الأكبر فيما نراه من الفضائل الاجتماعية وهذا إلى أنه سميك الحس ، غير جياش العواطف بطبيعة الهدوء والسكون الذي يكتنف القرية ، فهو غير ملتهب الشعور بل مالك لقواه في أكثر الأحيان ، وإنه وإن تكون الحاسة الجنسية أكثر تفتحاً في الإنسان الطبيعي القريب من البداوة إلا أن الفضيلة كذلك أكثر تغلغلاً في نفسه الساذجة والإحساس بالمروءة والشرف أعلى فيه من رجل المدينة الذي تعتوره المؤثرات المغرية ، واضطرته العوامل المتشابكة إلى النزول عن كثير من صفاته السامية . ولا يفوتنا كذلك أن نذكر أثر العاطفة الدينية في نفسه وهي متغلغلة تجعله يخشى في كل أمر يأتيه تلك النار المستعرة الذي ستلتهمه يوم القيامة ويحرص على الجنة التي سيتمتع بما فيها من المناعم واللذات .

فرجل هذه حاله قلما يتعرض لإغراء المرأة وإلهاب حواسها ، والكشف عن غرائزها وميولها . وامرأة أمام رجل كهذا وهي واقعة تحت التأثيرات الواقعة عليه ، قلما تفكر هي الأخرى في إغرائه ، والمغامرة بحيائها وعفتها ، مع سكونه وتوقره .

وأما من ناحية المجتمع فتجمع ما قلناه في الأفراد لأنهم أعضاء المجتمع وذراته التي يتكون منها ، فكل ميزة في الفرد يظهر مثلها في الجماعة غالبا . ولئن كان المجتمع في بعض الأحيان ينقص من إحدى نواحيه عن الفرد فإنه يستكمل النقص في ناحية أخرى أتم وأكمل .

ومجتمع القرية من ناحية موضوع اليوم من أتم المجتمعات وأكملها . ذلك أنه مرتبط متشابك فيه كثير من التعارف والامتزاج بحيث قلما يجهل فرد في القرية فرداً آخر . وأهل القرية بسبب ذلك يكادون يكونون أسرة واحدة يغار بعض أفرادها على بعض ، فإن لم يكن ذلك ، فأقل ما يكون أن يحترم الأفراد بعضهم بعضا لأن وجوههم متلاقية في كل آن ، ولأنهم على معرفة تامة واختلاط وثيق .

وهذا لا يدع المجال واسعاً لأن يفكر الفرد في لذته الخاصة التي تجرح إنساناً آخر من أسرة المرأة التي ينتوى إغراءها ، وبينهما من الصلات المباشرة ما يحيي في نفسه المروءة والشمم فإن لم يكن هذا فلا أقل من التخوف والحياء .

وهذا فضلاً على أن الوسط في القرية بحكم تربيته وظروفه هذه شديد الوطاءة على من يخترق حرمته ، والريفي لا يعد المرأة الفاسدة والرجل الفاجر وصمة على أسرتيهما فقط بل على القرية جميعها فهو شديد الحنق عليه أو عليها إلى درجة لا تسمح للأفراد أن يعبثوا بسيطرته ثم إن الغيرة الفردية الشديدة على الأعراض لا يمكن أن نهمل جانبها في إيقاف الغرائز عند حدها .

وبهذه الأسباب يمكننا أن نعلل ازدياد الفساد الخلقي في المدينة ليس في ناحية المرأة والرجل بل في كثير من النواحي الخلقية .

وربما كانت هذه الظاهرة شديدة الوضوح في الثغور ومدن الجامعات والمدن التجارية التي يختلط فيها كثير من الأجناس دون ما تعارف ولا ارتباط حيث تفتر المروءة وتخمد حرارة الجنسية الوطنية وتقل رقابة المجتمع أو تنعدم لعدم التجانس بين أفراده .

كالإسكندرية والقاهرة عندنا ومرسيليا وباريس في فرنسا ولندن في انجلترا وأمثال هذه المدن الجامعة لأجناس مختلفة لا رابطة بينهما من التعارف والاحترام .

وأما من ناحية طبيعة القرية فهي أنها محدودة الجوانب صغيرة الحجم فكل أمر فيها معروف وكل خبر ذائع وكل فرد منظور من أهله ومعارفه في غدوه ورواحه والمحال العمومية التي يسهل فيها الاجتماع معدومة أو قليلة .

كل هذه الفروق بين حياة القرية وحياة المدينة تحتم علينا ألا نتخذ القرية كمثال للاختلاط لأننا لا نستطيع أن نهب المدينة شيئاً من هذه الحصانة المكتسبة بحكم الظروف